الثورة
الجمعة 25 ذو القعدة 1433هـ 12 أكتوبر 2012م العدد (17495)

المدفعية الملكية لم تستطع إسكات صوت الشعب

إذاعة صنعاء.. دور تنويري رائد في انتصار الثورة والدفاع عن الجمهورية

لعبت إذاعة صنعاء دورا تنويريا بارزا في إنجاح ثورة ٢٦ سبتمبر وبدء عصر جديد في اليمن باعلان ميلاد الجمهورية العربية اليمنية.. وكان دورها التنويري لا يقل أهمية عن دور الرصاص والقذائف التي تنطلق من فوهة البنادق والمدفعية باعتبارها الوسيلة الاعلامية الوحيدة الموجودة حينها والقادرة على الوصول الى الناس رغم ساعات البث المحدود للإذاعة.. فقد ساهمت في خلق الوعي في المجتمع وفي الاعداد للتحول السياسي الذي ظل اليمنيون ينتظرونه طويلا . ومن داخل استديوهاتها البسيطة حينها انطلقت بشائر الانتصار لارادة الشعب اليمني معلنة ازاحة حقبة الظلم والطغيان والعزلة ، مدوية كالصاعقة وهي تعلن بيانات الثورة والأناشيد الوطنية الحماسية التي تراقصت مع أنغامها قلوب اليمنيين التواقين للتغيير مستبشرين بانبلاج صباح جديد بعد ليل طويل ظل جاثما على صدور أبناء اليمن ردحا طويلا.

استطلاع وإعداد/
عبدالملك الشرعبي

من هذا المكرفون انطلقت البشارة الأولى بإذاعة البيان الأول لثورة سبتمبر الخالدة

«هنا صنعاء».. صوت الجمهورية المتدفق الذي زلزل عرش الطغيان

واكبت ثورة 48 وأذاعت بياناتها وكانت البشير الأول لميلاد ثورة 26 سبتمبر

نشأة الإذاعة

يرجع دخول اول جهاز ارسال لاسلكي الى صنعاء الى عام١٩٤٦ م عندما حصل السيف عبدالله أحد أبناء الإمام يحيى على جهاز ارسال واستقبال عسكري لايزيد قوته على ٥ كيلووات ارسال لاسلكي هدية من الجيش الامريكي الى الجيش اليمني عقب زيارته الى امريكا اهدته بعثة أمريكية عسكرية زارت اليمن في العام نفسه وتم تحويل جهاز الإرسال إلى جهاز اذاعي وبه افتتحت اذاعة صنعاء في عام١٩٤٧ م بدون أي تجهيزات فنية وتقنية لعدم وجود مهندسين وفنيين متخصصين . وكلف الامام يحيى ابنه سيف الاسلام القاسم بالاشراف عليها وعلى برامجها. وكان يبدأ الارسال من الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة من مساء يوم الجمعة من كل أسبوع ولمدة ساعة وخمس عشرة دقيقة على موجة قصيرة طولها بالأمتار ١٤متراً وظلت لمدة خمسة عشر يوماً على هذا المنوال ثم بدأت بارسال اضافي يوم الاثنين أي يومين في الأسبوع وكانت البرامج تقتصر على بعض سورالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وغيرها وكذلك الأخبار المحدودة المحلية والعربية بجهاز ارسال صغير لا تتجاوز قدرته ١٣ ك وات، وكانت البرامج المذاعة تقتصر على (القرآن الكريم، احاديث دينية + تواشيح، ثم تقديم بعض المارشات العسكرية من الموسيقى النحاسية التي خلفها الأتراك بعد رحيلهم من اليمن بالإضافة إلى تقديم بعض الأناشيد على الهواء + أخبار القصر الملكي).. واستمر الارسال على هذا النحو حتى عام١٩٤٨ م حين اوقف البث الاذاعي عقب فشل ثورة ١٩٤٨م إلى أجل غير محدد نظرا للدور الإيجابي الذي قامت به الإذاعة في مؤازرة الثوار واستمر هذا التوقف ثماني سنوات ماعدا أسبوع في السنة كانت تفتح الاذاعة برامجها احتفاء لما يسمى بـ(عيد النصر) ولم يكن نطاق الاذاعة حينها يتعدى صنعاء وضواحيها.

وما يؤكد الدور التنويري الريادي لاذاعة صنعاء انها واكبت أول ثورة في الوطن العربي وهي ثورة١٩٤٨ م، وبث من ميكرفونها بيانات ثورة ٤٨ وتعليماتها وتوجيهاتها للجماهير، فكانت المنبر الذي يتحدث منه الأحرار من الأدباء والمفكرين لمقارعة الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن.

ومن الأعمال التي تشهد بذلك، وبالذات الأعمال الصوتية والخطية كنشيد «زمجري بالنار يا أرض الجنوب» كلمات شاعر اليمن الأول الاستاذ عبدالله البردوني وأداء الفرقة الموسيقية العسكرية. بعدها تم إيقاف الاذاعة عن العمل بسبب دورها المساند للثورة .

– وفي عام١٩٥٥ م كان افتتاح الاذاعة الثاني بعد توقف استمر نحو ٨ سنوات على محطات ارسال نوع جنرال اليكتريك موجة قصيرة بقدرة ٢٥ كيلو وات حيث تم البث من خلال ساعتين وربع يوميا حتى عام١٩٥٨ م عدلت ساعات البث الى أربع ساعات مقسمة على فترتين فى اليوم.. . وتوسع نطاق الإذاعة وأصبح البث يبدأ بعد ظهر كل يوم من الساعة الثالثة والنصف عصرا حتى الخامسة والنصف ومن السابعة حتى التاسعة مساء بعد أن تم تجهيزها بوسائل حديثة وبدأت بإرسال البرامج اليومية والاسبوعية وبدأ الجمهور الذي كان يزداد يوماً بعد يوم في متابعة الارسال باهتمام كبير وكان يغلب على برامجها في هذه الفترة الاتجاه الديني والسياسي .

ومع شروق أول يوم لثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢ م كانت تبث الاذاعة من ٦ صباحا حتى العاشرة ثم يستأنف البث من الساعة الواحدة ظهرا .

دور تنويري

كان نظام الحكم الإمامي يفرض رقابة شديدة على الاذاعة وما تقدمه من فقرات برامجية لكن كانت هناك كوكبة مبدعة أسهمت في تطور الاذاعة برامجيا واداريا.. كلما سنحت لها الفرصة للتطوير.. فأثناء سفر الإمام أحمد إلى ايطاليا عام١٩٥٨ م قدمت اذاعة صنعاء عدة برامج عن اوجه الظلم والاستبداد في الحكم وما وصلت اليه دول الجوار من تطور والتركيز كذلك على ما تعانيه المحافظات الجنوبية من الوطن الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي (البريطاني) والمناداة بضرورة خروج المحتل ليعود الوطن موحدا.

يوم ٢٥ سبتمبر

في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ ٢٥ سبتمبر١٩٦٢ م كما يقول الاستاذ عبدالله حمران «كنا متواجدين في الإذاعة أنا وعبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب جحاف وعدد آخر من الزملاء توافدوا إلى الإذاعة، والبث الإذاعي بدأ مبكراً من أجل إذاعة البرقيات التي تتوارد على الإذاعة بمناسبة تنصيب محمد البدر إماماً، مقترنة بتعاز لوفاة والده الإمام أحمد وانتهى وقت البث وغادر بعض الزملاء، ظللت في مكاني، فقد كان لدي علم بأن ساعة الصفر اقتربت والثورة ستقوم تلك الليلة بل ربما يتم الاستيلاء على الإذاعة قبل انتهاء الفترة الإذاعية المسائية التي تبدأ من السادسة والنصف، كنت مستغرقاً في تصورات كثيرة وكان البعض من الإخوان يدخلون الغرفة يشربون الشاي.

ويضيف حمران – في شهادته المدونة في كتاب «ثورة ٢٦سبتمبر» دراسات وشهادات للتاريخ الصادر عن مركز الدراسات والبحوث والتي كشف من خلالها الأدوار البطولية لمذيعي وفنيي إذاعة صنعاء قبل وأثناء تفجير ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة: كان الأخ عبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب جحاف قد دخلا إلى الغرفة التي كنت فيها مرتين وكنت على يقين أنهما مثلى على الأقل أن لم يكونا أكثر مني قلقاً ،فهما بالطبع يعلمان أن الثورة ستقوم ربما بعد ساعات، لم يكلماني بشيء ولم أكلمهما أنا أيضا (.....) وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة تقريباً ، وأنا في نفس المكان سمعت كلاماً عالياً في مكتب المدير العام الأستاذ أحمد المروني ميزت صوت الأخ عبدالوهاب جحاف وصوت المدير العام، ولم أميز الكلام فذهبت إلى مكتب المدير والضابط حسين الحرازي موجود في حالة انفعال وعصبية وهو يقول: لماذا يتحدث معهم في الظلام وما هو الغرض؟ ويقسم أنه سيبلغ الإمام وكان رد عبدالوهاب جحاف وهو أيضا منفعل أنهم من بلادي وأعرفهم وكنت أسألهم عن أحوال البلاد وأحوالهم ، وأنا يا حرازي مذيع الإمام.. احترامي وكرامتي من احترام الإمام، والأستاذ المروني يتدخل ويؤكد للحرازي أن عبدالوهاب يكن للإمام كل المحبة والتقدير وأنه من خيرة الشباب المحبين للبدر (الإمام) وأنه عاقل ولا يريد أن يحصل بينه وبين أحد أي خلاف.. الخ ثم طلب للحرازي الشاي وتصالح الاثنان.. وكان الضابط الحرازي حينها أميرا للمفرزة إي (حراسة الإذاعة) عينه البدر قبل ثلاثة أشهر.. ولما عرفت القصة قلت في نفسي : إن عبدالوهاب لاشك مكلف بهؤلاء الحرس وانه كان عندما لقيه الحرازي يبلغهم ويؤكد لهم قيام الثورة ويتأكد من موقفهم وتعاونهم مع الثورة وان هذا امتداد للقاءات سابقة، تمت بينه وبينهم ولاشك انه قد اتفق معهم.

ساااااعة الصفر

ويواصل الأستاذ عبدالله حمران سرد وقائع تلك الليلة التي سبقت إعلان الثورة ويقول: طلب مني المدير العام الأستاذ احمد المروني أن آخذ عبدالوهاب معي وننذهب إلى منزله ، فوافقت وطلعت الدور الثاني فوجدته واقفاً مع الأخ عبدالعزيز المقالح وقلت له: هيا نخرج قال لي: لا أنا سأتأخر لم اكرر عليه، وخرجت لتوي وفي طرف السور الشرقي قرب المحول الكهربائي وأنا متجه إلى البيت على دراجتي استوقفني احد الزملاء – وسألني بحدة عجيبة: أين جحاف لماذا لم يخرج ويذهب إلى بيته قلت له: أنا لم اخرج إلا لأنني أشعر ببرد وتعب وإلا فالواجب نبقى في الإذاعة ، عبدالوهاب وعبدالعزيز والمدير العام والزملاء الآخرون باقون فأنت تعرف الظروف. صاح قائلاً: أنتم متآمرون.. وسأذهب ابلّغ الإمام واعملها الليلة مجزرة . تركته ومضيت وكان زميلان أو أكثر خلفنا ولاشك في أنهم سمعوا ذلك واستنكروه ،. لم استطع البقاء في البيت وعودتي إلى الإذاعة ضاعف شكوك ذلك الضابط الحرازي وربما أن ذلك الزميل بقي بجانب السور ، فيزداد شكه، كان الوقت الساعة العاشرة والربع تقريباً، أو بالتوقيت الزوالي الرابعة والربع عصرا خرجت ألف على دراجتي ولم اخشَ شيئاً ومررت من جانب الإذاعة وكل شيء عادي وبعد نصف ساعة توقفت الإذاعة عن البث وسمعت الجميع مذيعين ومهندسين خارجين من الإذاعة ولم اسمع صوت عبدالعزيز المقالح أو عبدالوهاب جحاف.. انتظرت قليلاً عليّ اسمع أي شيء حولي وبعد نصف ساعة بالضبط سمعت قذيفة مدفع دوت من أرجاء العاصمة وفي نفس الوقت سمعت حركة دبابات وسيارات في رأس الشارع وبعد دقائق سمعت وصولها إلى باب الإذاعة وسمعت نزول جنود وحديثاً بينهم وبين حرس الإذاعة ولم أجرؤ على الاقتراب وهدأ الجو في الإذاعة ولكن بدأت المدافع تقصف دار البشائر والرشاشات تشارك في القصف، هدأت المدافع والرشاشات وبعد الاستيلاء على الإذاعة والهدوء الذي أعقبه سمعت أربع أو خمس طلقات بندقية داخل الإذاعة، اعني داخل السور – لم استطع أن اعرف مصدر تلك الطلقات ولا إلى أية مكان داخل السور اتجهت لكنني اعتبرتها طلقات شر مما زاد من يقيني وخوفي أصحاب البيوت المجاورة للمسجد في النوافذ يتساءلون ويتابعون أين تتجه طلقات المدافع والرشاشات.

الاستيلاء على الإذاعة

عند الساعة الرابعة فجرا تقريبا وقد طلع النور ذهبت إلى الإذاعة ولم أجد صعوبة في الدخول ، فقد كان هناك احد الحرس السابقين يعرفني واحد الضباط أظنه طاهر الشهاري أو محمد الوادعي أو عبدالله الراعي لا أستطيع أن اذكر من هو بالضبط سألت عن الاخوين عبدالوهاب جحاف وعبدالعزيز المقالح قال الشاويش (إنهما هنا).

سألت المهندس المختص بمولد الكهرباء اللاسلكي الحاج ناصر أو الحاج علي ناصر وكان واقفاً في باب مبنى المولد سألته عن العقيد حسن العمري قال: موجود هنا داخل المبنى يعني عند المولد وقال: هو مريض تصرفوا، خرجت مرتبكاً ولقيت عبدالوهاب جحاف وحينها وصل الملازم ثاني صالح الاشول ويبدو انه قد خرج إلى مكان المهمة، وصل وكان المهندس عبدالله الهمداني قد وصل لأن بيته قريب من الاذاعة وهو مسؤول عن المولد الكهربائي الخاص بتشغيل محطة الإذاعة الاستديو ، أما الإنارة العادية فكانت من التيار العام وكان يقطع عادة في منتصف الليل.

وكان الملازم صالح الأشول قد كلف سيارة لإحضار حمود هادي مراد ومحسن الشعبي الأول مهندس الإرسال والثاني مهندس الرقابة بناء على طلبنا أنا وجحاف، وبعد وصولهما طلبنا منهما بالاضافة الى عبدالله الهمداني تشغيل الإذاعة كل في مجال اختصاصه فطلبوا امراً كتابياً.. فقال لهم عبدالوهاب هذه ثورة لا لزوم للأوامر الكتابية لازم تشغلوا الإذاعة بلا تأخير.. أصروا على الأمر الكتابي من مسؤول فحررت لهم الأمر ولكن مفتاح باب محطة الإرسال كان عند المهندس علي الأبيض ، فأبلغنا الملازم صالح الاشول بأن مفتاح باب الإرسال عند المهندس علي الأبيض، وكان عنده الضابط حسين الحرازي وطلب الأخ صالح منه المفتاح فرماه له من النافذة القبلية من الدور الثاني فأخذه واستلمه حمود مراد الذي أطلق عليه حسين الحرازي رصاصة لم تصبه وذلك أثناء فتحه للباب ..توجهت أنا والأخ عبدالوهاب إلى الاستديو ودخلنا الإدارة وجاء عبدالعزيز المقالح ودخل الإدارة وذلك لتلقي أية مكالمة أو أوامر أو بلاغات، وكان الأخ عبدالوهاب قد اخبرني بأن الأخ علي أبو لحوم قد أصيب إصابة شديدة برصاصة أطلقها عليه الضابط الحرازي عندما كان متوجهاً مع الاخوين الملازمين علي قاسم المؤيد وصالح الاشول إلى مبنى الإدارة والاستديو فوراً وعقب الاستيلاء على الإذاعة طلعت أنا والأخ عبدالوهاب إلى الاستديو والأخ عبدالعزيز المقالح في الإدارة، كان الوقت حوالي السادسة والربع وجاء الملازم علي قاسم وهو المسؤول عن إذاعة القاهرة أو صوت العرب لأنهما على حد تعبيره ربما يذيعان خبر قيام الثورة إذ انه قد سبق الاتصال وإرسال الخبر وكان يوجد جهاز راديو في غرفة مجاورة لدى الأخ محمد المسوري مدير عام المكتبة وكان قد وصل لتوه، فدخل الأخ علي قاسم عند جهاز الراديو وخرجت بعده وبقي عبدالوهاب في الاستديو عند خروجي وأنا واقف على رأس السلم وصل شخص عليه (صماطة) صفراء